التي عاشها اليهود في القرن التاسع عشر على وجه الخصوص ٠

وبعد مقدمته المطولة (٧٠ صفحة) التي هي احد الاجزاء الحيوية من كتابه، يعرض صبري جريس في الفصل الاول لنشأة الفكرة ومن ثم الحركة السياسية الصهيونية على يد مفكريها الاوائل (طلائع الصهيونية) من امثال الحاخام يهودا الكلعي الذي عاش في يوغسلافيا (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨) والحاخام تسفي هيرش كاليشر الذي عاش في تورين في المانيا (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤) صاحب كتاب « البحث عن صهيون » ، وموشيه هش الذي عاش في المانيا ايضا (١٨١٢ ـ ١٨٧٥) واصدر تحت تأثير انتصار الحركة القومية الايطالية كتابا بعنوان « روما والقدس » والذي دعا فيه بوضوح الى قيام دولة يهودية ، ثم يعرض بعد ذلك لسلسلة المذابح والاعتداءات التي تعرض لها اليهود في روسيا ابتداء من عام ١٨٨١ وكيف كان لها الاثر الحاسم في بروز وتبلور الصهيونية ، حيث نشأت في ظل هذه المذابح حركة هواة صهيون التي عملت على تشجيع الهجرة من روسيا الى فلسطين وانشأت فيها اولى المستوطنات اليهودية بين عامي ١٨٨١ وحتى عام ١٩٠٤ ٠ وكيف بدأت على اثر تلك المذابح هجرة يهودية واسعة توجه غالبية اصحابها الى اميركا ٠ وكيف ان قسما من هؤلاء ـ وهم الذين يعرفون بأسم الهجرة الاولى ـ توجه الى فلسطين ووضع الاسس الاولى للنشاط الاستيطاني فيها ، حيث اقيمت اول مستوطنة جنوبي يافا واطلق عليها اسم ريشون لتسيون او « الاولى لصهيون » ٠

بعد ذلك ، يعرض الكاتب لبعض التفاصيل الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في فلسطين في ذلك الوقت ـ العهد العثماني ـ ، ولكثير من التفاصيل الاخرى حول النشاط الاستيطاني الصهيوني واوضاعه الداخلية وعلاقة البارون روتشيلد بالمستوطنات الاولى التي اقيمت في فلسطين ٠ الا ان الذي يثير الاهتمام فيذلك العرض كله هو ما اورده جريس من حقائق عن المقاومة العربية المبكرة لمشروع الاستيطان الصهيوني هذا ٠ فقد ذكر ان من ابرز تلك الحقائق كان الهجوم الذي شنهالعرب الفلسطينيون ضد مستوطنة روش بينا سنة ١٨٨٣ ، والهجمات الاخرى التي تلته ضد مستوطنة بيتح تكفا في اواخر اذار سنة ١٨٨٦ ، وضد مستوطنة غديرة في تشرين الاول ١٨٨٨ ، وضد رحوفوت في اذار سنة ١٨٩٣ ، وضد بئير طوفيا في كانون الاول ١٨٩٦ ، وضد الخضيرة في ايلول ١٩٠١ ، وغيرها من المناوشات بين المستوطنين والعرب كما كان يحدث في مستوطنة المطلة وغيرها ٠

والذي يهم الكثيرين من المتتبعين والدارسين لمجرى الكفاح الشعبي الفلسطيني في مختلف مراحله ضد المشروع الصهيوني ، لم يهتم به جريس في هذا المقام ٠ ولا نجد له عذرا في ذلك الا اذا كانت المراجع الصهيونية التي اعتمدها حول اشكال المقاومة المبكرة للاستيطان جاءت مبتسرة ومجزوءة وناقصة ، كما وردت في كتابه ٠

وفي الفصل الثالث من كتابه يعرض جريس بشيء من التفصيل لمرحلة تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية على يد احد ابرز زعمائها تيودور هرتسل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) ، ولكتابه « دولة اليهود » ولمساعيه لدى ملوك وامراء تلك الحقبة ٠ ثم يتناول عقد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بازل في سويسرا (١٨٩٧) ٠ ومساعي هرتسل واتصالاته الدولية بعد